مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية
Jazan University Journal of Human Sciences (JUJHS)

# بلاغة الخطاب الإقناعي لدى عبدالله الغذامي من خلال لقائه مع قناة العربية إف إم، بتاريخ ٢٠٢٤/٨/٣١م

أروى محمد الملا
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية

# The Eloquence of Persuasive Speech by Abdullah Al-Ghathami, During his Interview with Al-Arabiya FM, on 8/31/2024 AD

Arwa Muhammad Al-Mulla
Department of Arabic Language, College of Arts, King Faisal University, Kingdom of Saudi Arabia

| DOI | RECEIVED الاستلام | Edit التعديل | ACCEPTED القبول |
|---|---|---|---|
| https://doi.org/10.37575/h/edu/22002 | 2024/10/19 | 2025/01/19 | 2025/01/27 |
| NO. OF PAGES عدد الصفحات | YEAR سنة العدد | VOLUME رقم المجلد | ISSUE رقم العدد |
| 26 | 2025 | 3 | 13 |

## ملخص:

يضمُّ هذا البحثُ بين طياته صورةً من بلاغة الخطاب الإقناعي لدى الناقد والمفكِّر السعودي "عبدالله الغذامي". تناول – من خلال المنهجين: الوصفي التحليلي والنقدي– الممارسة الخطابية، وآلياتها التأثيرية الإقناعية في خطابه ضمن لقاءٍ جمعه مع قناة "العربية إف إم"، بتاريخ ٢٠٢٤/٨/٣١م. جاء البحث في فصلين: الأول منهما نظري؛ تناول بالوصف مفهوم الإقناع ووسائله، بينما عرض الثاني بالمناقشة والتحليل سمات خطابه هذا، وآلياته المنطقية الدلالية، وصوره وأساليبه الحجاجية، ووسائله التداولية واللغوية، فوقف على سمات خطابه من لُغة واضحة، وأسلوب موجز، وتمهيده لحُججه بمرتكزات الحجاج من وقائع وحقائق وقِيم مثَّلت منطلقاتٍ لحججه التي تنوَّعت بين حُجة "الإيتوس" و"اللوقوس" و"السُّلطة"، وهي حُجَجٌ حرص الغذامي على تدعيمها بالاستدلالات الحجاجية، والأساليب اللغوية من توكيد، ونفي، واستدراك، وتمثيل، وتكرار...؛ يتغيَّا استمالة المخاطب، واستدراجه لتقبُّل الفكرة، والتسليم بها، والاقتناع الفعَّال بمضمونها.

**الكلمات المفتاحية:** البلاغة الجديدة، الخطاب الإقناعي، الغذامي، الحِجاج.

## Abstract:

This study presents a portrait of the eloquence of persuasive discourse exhibited by the renowned Saudi critic and thinker, Abdullah Al-Ghathami. Through a descriptive analytical and critical methodology, it delves into his rhetorical practices and the mechanisms of persuasive influence within his discourse during an interview with Al Arabiya FM on 31/08/2024. The study is divided into two sections: the first is theoretical, providing a descriptive examination of the concept of persuasion and its tools, while the second is analytical, discussing and examining the characteristics of Al-Ghathami's discourse. It highlights his logical-semantic mechanisms, argumentative techniques, and rhetorical styles, as well as his discursive and linguistic strategies. The analysis underscores the distinct features of his discourse, such as clarity of language, brevity of style, and the structured presentation of his arguments, grounded in facts, realities, and values that served as the basis for his persuasive appeals, which ranged from ethos to logos and authority. Al-Ghathami meticulously reinforced his arguments with various persuasive techniques, including evidence-based reasoning, linguistic strategies like affirmation, negation, concession, analogy, and repetition, all aimed at swaying the audience and guiding them towards acceptance and effective conviction of his ideas.

**Keywords:** New Rhetoric, Persuasive Discourse, Al-Ghathami, Argumentation.

**مُقدِّمة**

لا يعزب عن القارئ أن كل خطاب هو رسالة اتصالية، يتكوَّن من تنظيم داخلي من العلامات التلفظية المنسوجة وَفْق ضوابط تُنظِّم وتحكم نسيجها اللغوي، تأتلف وفق قواعد تركيبية ودلالية معينة، يتمتَّع بخصوصية نسقية تُشكِّل ملامحَهُ، وتُؤسِّس دلالته، وتُوجِّه محتواه، لذا يختلف خطاب عن آخر؛ حسب طاقته التلفظية، وآلياته التواصلية والإبلاغية، كما تختلف سُلطته الإقناعية على المخاطب حسب الشحنات التأثيرية التي يحملها.

على أن النشاط الإبداعي للخطاب الشفهي يختلف عنه في المكتوب، كما يختلف المرئيُّ عنه في المسموع؛ فالمُكوِّنات اللغوية والسيميائية والتداولية تختلف من نمطٍ إلى آخر، فالخطاب الإعلامي المرئي لا يخلو من نسقينِ: أحدهما لُغوي، والآخر أيقونيٌّ بصريٌّ، فالصورة وآلياتها المُؤثِّرة تُعزِّز الدور الدلالي للغة في التأثير على المتلقي، ومنه فإن الخطاب الإعلامي يتمتَّع بطاقات تمثيلية تمنحه فاعلية مُؤثِّرة للإنجاز، والأداء التداولي، ولعل هذا ما جعله النشاط النخبوي الأهمَّ من بين أشكال التواصل المُؤثِّرة في الجمهور، لاسيما إن نظرنا إلى بُعده الإقناعي الذي من شأنه أن يحمل المتلقي على التسليم بما يطرحه المتكلم للتداول من أفكار وقضايا؛ إذ يجذب المتلقي نحو الإقناع عبر مجموعة من الوسائل اللغوية والمنطقية والأخلاقية والنفسية، القائمة على اللغة والرمز والصورة وشخصنة الفكرة وغيرها من وسائل تجعل المخاطب في موقع الإثارة والانتباه، شاحذًا بصره وسمعه وعقله للفهم والتأويل والتصوُّر. لذا نعُدُّ الخطاب هنا حقلًا غنيًّا بالإيحاءات والدلالات والمُكوِّنات اللغوية والبلاغية والتقنية التي تؤدي دورًا رئيسًا في عملية الإقناع. على أنه لا يمكن تجاهلُ النشاط الإبداعي للمتكلم في تمرير خطابه؛ فالخطاب يكتسب طاقته التعبيرية والتأثيرية من فصاحة مُبدعه، ومخزونه الثقافي، وكفاءته التلفظية، وقدرته على إنتاج المادة الإقناعية التي يستهلكها المتلقي. هذه الكفاءات وتلك الطاقات تجعلنا نتساءل عن كيفية اشتغال المعنى في الخطاب الإقناعي، وعن آلياته التواصلية الإقناعية، لاسيما إن كان المتكلم أديبًا وناقدًا موسوعيًّا كالغذامي، ارتبط اسمه بالثقافة والأدب بوصفه مُؤسِّسًا ومُنظِّرًا وناقدًا، يملك من وسائل التعبير والإقناع والتفنيد وغيرها من آليات القول وفاعلية التأثير ما يجعل خطابه الشفهي غنيًّا بألوان إستراتيجيات الخطاب، وآليات الإقناع التي تعتمد على مظاهر الاستدلال المنطقي، والحجاج البلاغي، والخطاب الفلسفي والتداولي...إلخ.

١- موضوع البحث وإشكالياته: موضوع البحث: "بلاغة الخطاب الإقناعي عند عبدالله الغذامي"، وهو موضوع يندرج ضمن تداولية الخطاب الحجاجي، تُثيره تساؤلات تُحدِّد إشكالياته منهجيًّا ونظريًّا وتطبيقيًّا، هي:

- ما الآليات التي قامت عليها بلاغة الخطاب الإقناعي عند الغذامي؟
- كيف وظَّف الغذامي هذه الآليات، وما مدى تأثيرها في فكر المتلقي ووجدانه؟
- ما الهدف الذي سعى الغذامى إلى تحقيقه من خلال تلك الآليات؟

٢- منهجية البحث: سار البحث في ضوء المنهجينِ: الوصفي التحليلي والنقدي؛ فانطلق من الأول يصف آليات الخطاب التي وظَّفها الغذامي في حواره، ليلجَ عبر الثاني إلى الكشف عن الدلالات والمعاني الكامنة التي مكَّنته من التأثير في جمهوره وإقناعه. على أن هذه المنهجية فرضت الاستعانة بنظرية:

"الحجاج داخل الخطاب"، و"الخطابة الجديدة" عند شاييم بيرلمان؛ لتربط بين الحجاج والإقناع في مستويات الخطاب الشفهي وسياقاته التواصلية الهادفة إلى التبليغ والإقناع.

٣- دوافع البحث وأهدافه: مثَّلت لغة الخطاب وإستراتيجية منشئه الإقناعية دافعًا للوقوف على الآليات التي يمتلكها خطابه الإقناعي، لاسيما وأن المخاطب لفيفٌ من عقليات متباينة بينها المثقف والعامي، فالخطاب مُوجَّه إلى قطاع عريض من الجمهور بمختلف مستوياته الفكرية والثقافية، وهو ما يفرض وجود طرائق إقناعية لا طريقة واحدة. هذا، مع خطورة هذا النمط من الخطاب الإعلامي؛ فشخصية الغذامي فضلًا عن مقامه الفكري سيضع الخطاب في دائرة التأثير، لاسيما وقد وافق هذا المقام منبرًا إعلاميًّا مباشرًا مع الجمهور، لذا تأتي أهداف البحث ساعية إلى إجابة عن تساؤلاته حول ما تميَّزت به خصوصية الخطاب الشفهي عند الغذامي، وآلياته الإقناعية، والوقوف على الكيفية التي وظَّف بها هذه الآليات، ومدى نفعها وتأثيرها في تحقيق مصلحة الخطاب. واضعين في الاعتبار خصوصية هذا النمط من الخطاب من حيث الإنشائية، والاعتماد على الذهنية الشفاهية المندمجة في البنيات الاجتماعية، أو من حيث آليات الذاكرة الشفاهية في الحفظ والتذكُّر والارتجال والاعتماد على القريحة بشكلٍ رئيسٍ، على أن هذه الأنماط وإن كانت تستعين وتُعوِّل في مادتها على أشكال الخطاب كافةً؛ بوصف أن " تلفظ الخطاب يستلهم مادته من الأداء الشفاهي للكلام بكل تنوُّعاته المختلفة، ابتداءً من المخاطبة اليومية إلى الخطبة الأكثر صنعة وزخرفة إلى الإنشاء الأكثر شعرية من حيث الأداء"[(١)]، فإنها لن تكون بالكفاءة نفسها أمام عدسات الإعلام الذي يتضمَّن الجماهيرية والمفاجأة معًا؛ فالارتجال أمام عدسات الإعلام وعيون الجماهير أشدُّ وطأة على نفس المرسل والمتلقي على حد سواء، يُضاف إلى ذلك خصوصية الحوار الإعلامي من طرح لأسئلة عشوائية ومفاجئة بل متنوعة، تتطلب إجابات محكومة بثقافة التواصل وبلاغة الإقناع، بعقلانية تداولية مرتكزها الحوار وقِيم التوسط والتبادل الفكري.

٤- هيكل البحث: جاء هيكل البحث وفق أهدافه في تمهيد وفصلين وخاتمة:

- الفصل الأول: عالج مفهوم الإقناع، ونظرياته، وآلياته، وأهم تقنياته التي تُوجِّه سيرورة الخطاب، وتحكم مؤثراته في المخاطب.
- الفصل الثاني: ناقش الممارسة الخطابية وآلياتها التأثيرية، ووظائفها الإقناعية عبر بنياتها اللسانية والبلاغية والمعرفية والتداولية في مقابلة الغذامي موضوع البحث.
- الخاتمة: وفيها تلخيص النتائج.
- أهم التوصيات.

## التمهيد: أهمية الإقناع الخطابي الحجاجي في البلاغة العربية:

إن للإقناع أهميته البالغة في العصر الراهن، فهو يعد قرين التداول وخاصة عندما تتحول البلاغة من دارة مغلقة تقتصر غالبًا على ممارسات شكلية إلى أرض

(١) هواري غزالي: مقولة التوازي وشعرية الإلقاء، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر، ٢٠٠٠م، ص٩٧.

منبسطة ولائحة مفتوحة تعير المجتمع وقضاياه المتغيرة اهتمامًا كبيرًا.

ولا بد أن نشير في هذا السياق إلى أن تراثنا البلاغي فيه نماذج غير قليلة اعتنت بالإقْناع البلاغي، فقد اهتم البلاغيون العرب بمقتضى الحال، فهو مدار الحديث في صحيفة بشر بن المعتمر، وكذلك البرهان في وجوه البيان لابن وهب، ثم تبدأ مرحلة الجاحظ إلى السكاكي، فالدراسات البلاغية الحديثة تجمع على أن الجاحظ يمثل فترة التأسيس، وتؤكد أن السكاكي يمثل فترة بلوغ الذروة، ولا ننسى أن نؤكد دور حازم القرطاجني.

فالخطاب البلاغي يتكون بشكل كبير من المؤلفات الآتية: البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب البديع لابن المعتز، وكتاب الصناعتين للعسكري، وسر الفصاحة للخفاجي، ودلائل الإعجاز للجرجاني، وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي.

وأذكر هنا جملة من آراء كتابنا لنتأمل كيف اهتم علماء البلاغة العرب بأحوال المستمعين والمتكلم وبالنص نفسه، ومن هذه الآراء قول بشر بن المعتمر:

١- "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال، وكذلك اللفظ العامي والخاصيّ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام[١].

هذ النص التراثي المتميز يتضمن توجيهات قيمة للكاتب تتمثل في: ضرورة اختيار وقت الكتابة في ساعات النشاط وهدوء البال، والبعد عن التكلف والتماس الغرابة؛ لأن ذلك يؤدي إلى التعقيد المستكره، و ضرورة اختيار اللفظ الرشيق الواضح والمناسبة بين المقال والمقام، والتوسط والاعتدال، وهو ما يمكن أن نسميه السهل الممتنع.

٢- "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وأقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات، فإن كان الخطيب متكلما تجنّب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين" [٢].

يتناول بشر في هذه الفقرة أساسًا من أسس الجودة، وبابًا من أبواب البلاغة الذي يهتم به الأديب في أدبه اهتمامًا كبيرًا وهو باب مقتضى الحال، ويعدّ هذا الباب الأساس الأول في علم البلاغة؛ إذ به يصحّ النص الأدبي، وعلى الأديب أن يحدّد المعنى الذي يخاطب به الآخرين، سواء أكان هذا المعنى في اللغة أم الأدب أم البلاغة أم التوحيد أم غير ذلك، ويتعرَّف على أجزائه، ثم يحدّد الطبقة من المستمعين؛ لأن لكل طبقة طريقة في التعبير يحسنون فهمها، فطريقة علماء الكلام تختلف عن أسلوب النحاة، ثم يتعرف على أحوال المستمعين، فتارة يكونون في حالة ينكرون فيها المعنى، وتارة يجهلونه، وتارة يشكون فيه، ولكل حالة من هذه

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣هـ، ١/ ١٢٩.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ١٣١، والصناعتين، لأبي العسكري، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩ هـ، ص: ١٣٥.

الحالات الثلاث أسلوب معين يعتمد على التوكيد أحيانًا، أو لا يعتمد، ويضرب أمثلة كثيرة لطرائق التعبير في باب مقتضى الحال، مثل مخاطبة المتكلمين من أهل علم الكلام، ومخاطبة العروضيين، ومخاطبة النحويين، ومخاطبة علماء الرياضة والحساب، وعلماء البلاغة ينسبون هذا القول إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ لارتباطه القوي بالبلاغة، فكلام بشر هذا أساسٌ من أسس علم البلاغة.

وإذا ذهبنا نبحث عن نصوص في تراثنا البلاغي ترتبط بهذا الأمر سنجد الكثير والكثير الذي لا يتسع المقال لذكره؛ مما يدل على أن البلاغيين العرب استطاعوا وضع البلاغة في مكانها الطبيعي، لذا يرى الدكتور محمد العمري أننا لو أردنا أن نفتش عن البعد الإقناعي في بلاغتنا العربية، فلا سبيل لنا إلا بالطرق على باب البيان والتبيين للجاحظ الذي عُد بحق من أوائل الذين تفطنوا لآلية الإقناع، وما يلعبه من دور بارز في عملية التخاطب [١]، ونستشف من ذلك أن الجاحظ أولى عناية كبيرة لبلاغة الخطاب الإقناعي القائمة على الإفهام والتأثير في المتلقي، وذلك من أجل حصول الوفاق بين أطراف الخطاب، وهذا ما أكده العمري بقوله: " لقد ظهرت النواة البلاغية الخطابية الأولى التي توازي كتاب البديع وتعادله في القرن الثالث الهجري هي الأخرى، نقصد بذلك كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وهو كتاب مؤسس للحجاج وبلاغة الخطاب الإقناعي، ولا علاقة له بنقد الشعر ... لقد تدرج الكتاب في تعريف البيان من الإفهام إلى التأثير والإقناع حسب المقامات[٢].

ويؤكد العمري أن البلاغة القصوى عند الجاحظ في البيان والتبيين: هي الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو إقناع تقدم فيه الغاية ( الإقناع ) على الوسيلة ( اللغة )، وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال [٣]، فتحديد البلاغة بعنصر المقام تأكيد وتحقيق للواقع من جهة، وإلغاء لكل صور الإبداع والتخييل من جهة أخرى.

ومما تقدم يتضح لنا أن البعد الإقناعي كان حاضرًا بقوة في بلاغتنا العربية، وهذا ما جسده الجاحظ بعمق، فقدم لنا تصوره لبلاغة الإقناع قائمة على الصواب اللغوي والتوسط البلاغي في حوار مع المقام.

بيد أن الوعي بعلاقة الحجاج بالبلاغة في تراثنا العربي أمر لا تخطئه عين، فالبيان أساس البلاغة وجوهرها، والوظيفة الأساسية لكل اتصال لغوي، وهو كما يعرفه الجاحظ: " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يغضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والأفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[٤].

فالمعنى في نظر الجاحظ مقنّع ومضمر وعلى المبدع أن يكشف هذا القناع، ويظهر هذا المضمر المستكنّ في النفوس؛ لأنّ غاية الأمر الفهم والإفهام بأية طريقة وبأي وسيلة، وهذا الكلام على الوضوح والإظهار والإبانة أهمل العناية بالجانب الفنّي، أي الطريقة الواجب اعتمادها للكشف عن المعاني المضمرة.

---

(١) انظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول إفريقيا الشرق، المغرب، طبعة ٢٠١٢، ص ٣٨

(٢) محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، المغرب، طبعة عام ٢٠١٣م، ص: ٣٣.

(٣) محمد العمري، المقام البلاغي والمقام الشعري، مجلة دراسات، العدد ٥، خريف – شتاء، عام ١٩٩١م، ص: ١١.

(٤) البيان والتبيين، للجاحظ، ١/ ٨٢.

كما يؤكد ابن الأثير الوظيفة الإقناعية للبلاغة بقوله: علم أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، والمعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها[١].

ومن هذا المنطلق نؤكد أن في تراثنا البلاغي أعمالًا في غاية الأهمية اهتمت بالإقناع الخطابي أو بالأحرى ببلاغة الإقناع، ويمكن أن نَعُدَّ تصور البلاغيين العرب للإقناع تصورًا ننطلق منه في عصرنا الراهن لفهم الإقناع البلاغي المعاصر، خاصة أنه يلفت انتباهنا إلى الشبكة المعقدة التي تؤسس عملية التخاطب أو الخطاب الإقناعي، ويؤكد أن ظروف الخطاب غير اللغوية تقوم بدور مهم في تحديد خصائص الخطاب الداخلية؛ ذلك لأن "الخطاب يشغّل لتحقق غاياته عناصر لغوية (اللفظ، والتركيب، والصورة) في علاقته بعناصر مقامية تداولية (المتكلم، المخاطب، المقام)"[٢].

## المبحث الأول: مفهوم الإقناع نظرياته وآلياته، وأهم تقنياته:

### المطلب الأول: مفهوم الإقناع لغة واصطلاحًا:

إن الإقناع أحدُ أهمِّ غايات التواصل إن لم يكن أهمَّها؛ فإذا افترضنا أن كل خطاب يتطلب مرسلًا ومستقبلًا، فإن هدف الأول هو التأثير على الثاني بطريقة ما، تأثير في فكره ووجدانه، ينتج عنه رضا وقناعة عن مضمون الخطاب، هذا الرضا هو جوهر مفهوم الإقناع؛ فالعرب تقول: " قَنِعَ بنفسه قنعًا وقناعة: رضي... يُقال: فلان شاهدٌ مَقْنَعٌ، أي: رِضًا يُقْنَعُ به ويُرضَى برأيه وقضائه"[٣]، و"اقتنع: قنع بالفكرة أو الرأي: قبله واطمأنَّ إليه"[٤]، فرضا المخاطب شرط لقناعته، ومنه كان المعنى الاصطلاحي للكلمة؛ إذ فسَّرها القرطاجني بقوله: " هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده"[٥]، على أن حمل المخاطب على التصديق لا يتعارض ومبدأ الرضا والقبول؛ فالوصول إلى الإقناع يتضمَّن عمليات فكرية ولسانية تعيد بناء الفكرة من الداخل، وتأسيسها على المبادئ السليمة بعد أن تُقوِّض ما ترسَّب في النفس من عقائد باطلة، وحجج داحضة، الأمر الذي يجعل المفهوم الاصطلاحي الحديث للكلمة أكثر دقة؛ إذ يُفسَّر الإقناع بأنه: "عمليات فكرية وشكلية يُحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر، وإخضاعه لفكرة ما"[٦]، تتضمَّن هذه العمليات بدورها كل أشكال الاتصال الشفهي والمكتوب بما فيها من إيماءات وأفعال وحركات إرادية هدفها التأثير.

وبناء على ذلك فإن الإقناع يتوفَّر في " أي اتصال مكتوب أو شفوي أو سمعي أو بصري يهدف بشكل مُحدَّد إلى التأثير على الاتجاهات والاعتقادات أو السلوك، وأي قوة تستخدم لتجعل شخصًا يقوم بعمل ما عن طريق النصح والحُجة والمنطق"[٧]، وعليه فإن " كل اتصال

---

(١) انظر: ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ٢/ ٢٠٥.

(٢) دكتور حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن – عمان، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م، ص٣١.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، (مادة: قنع)

(٤) المعجم الوسيط، (مادة: قنع)

(٥) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣، ٢٠٠٨م، ج٢ (المعاني)، ص١٩.

(٦) عبدالله محمد العوشن: كيف تقنع الآخرين، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ، ص٢٦.

(٧) إبراهيم أبو عرقوب: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٥م، ص١٨٩.

هدفه الإقناع؛ وذلك أنه يبحث عن تحصيل ردِّ فعل على أفكار القائم بالاتصال"[١].

هذا عن الإقناع بمفهومه العام، أما الإقناع الحجاجي والأدبي فيختلف في خصوصية وسائله المنطقية واللغوية النابعة عن خصوصية الخطاب نفسه، ولا نخصُّ بالخطاب هنا الحجاجي فقط؛ بل كل نصٍّ إقناعي يتضمَّن قضايا خلافية، وغير خلافية، وهو ما يعني ضرورة التفريق بين النص الإقناعي والحجاجي؛ فكل نصٍّ حجاجيٍّ هو نص إقناعي، ولكن ليس كل نص إقناعي نصًّا حجاجيًّا؛ لأن الإقناع يرتبط بالحجاج ارتباط النص بوظيفته الجوهرية الملازمة في محيط أنواع نصية أخرى كالوصفيات والسرديات [٢].

من منظور آخر فإن حمل المخاطب على الاقتناع لا بد له من وسائل وآليات تحمل عقله كما تحمل عاطفته على التصديق والقبول؛ فالطباع والأفهام تختلف من متلقٍّ إلى آخر، لذا قال ابن رشد: " إن طباع الناس متفاضلة في التصديق، فمنهم مَن يُصدِّق بالبرهان، ومنهم مَن يُصدِّق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان؛ إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك، ومنهم مَن يُصدِّق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية"[٣]. وإذا كان المتكلم أمام قطاع عريض من الجماهير يضمُّ تباينًا واختلافًا فكريًّا بين طوائفه مثقفين وغير مثقفين، حتى على مستوى الفرد الواحد، فإن هناك تباينًا بين العقل والعاطفة؛ فإرضاء أحدهما لا يعني بالضرورة رضا الآخر؛ إذ قد يقنع العقل متأثرًا بالحجج المنطقية والبراهين العقلية، بينما تبقى العاطفة مذبذبة مضطربة تجاه الموقف نفسه، كما أن العاطفة تقنع –أحيانًا– بما لا يقنع به العقل ولا يقبله، الأمر الذي يجعل إقناع العامة مختلفًا عن الخاصة، وخاصة الخاصة من الناس، وهو الأمر نفسه الذي يحدد آليات الإقناع ووسائله من خطاب إلى آخر حسب المتلقي الموجه إليه، ومقتضى حاله. لذا، كانت مسألة الفصل بين العقل والعاطفة هي مناط وسائل الإقناع وجوهرها؛ فتأثير الخطاب في كليهما معًا هو سر نجاحه، كما أن التأثير في أحدهما دون الآخر كفيلٌ بأن يُهدِّد هذا النجاح مهما لجأ إلى وسائل وآليات ذات فاعلية تأثيرية، وليس أدلَّ على ذلك مما حدَّث عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فإذا نظرنا إلى جلالة المتحدِّث، ومكانة المخاطب، وقدسية الخطاب، لم يدُرْ في خلدنا أن إبراهيم –عليه السلام– طلب طُمأنينة القلب حتى يسكن فكره إلى حقيقة البعث الأخروي، رغم ما رآه من حُجج منطقية نابعة عن التدبُّر والتفكُّر الذي هو من عمل العقل، لكنه أراد أن يزداد إيمانًا وبصيرةً برؤية الإحياء على اعتبار أن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وأزيد للبصيرة واليقين[٤]، وإذا كان العقل ربيب القلب، فإن كلَّ خطاب بليغ مقنع لا ينفكُّ من وسائل وآليات تُؤثِّر في عقل المخاطب وقلبه معًا، تأتي حسب ما يقتضيه حال السامع، ومقام المخاطب. وإذا كان التأثير الفعال في المخاطب هو هدف الخطاب

(١) محمد العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع٦٠، خريف ٢٠٠٢م، ص٤٥.

(٢) انظر: السابق، ص٤٥.

(٣) أبو الوليد بن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٩٩م، ص٣١.

(٤) انظر: الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ج١، ٣٠٩.

الإقناعي؛ فإن المتكلم ينحو بخطابه إلى إحداث تأثير فعلي في المخاطب بهدف الإقناع والتسليم، وهو ما يعني عدم جدوى الإقناع دون حصول التأثير الفعلي. لذا، كانت قناعة المدخِّن بحرمة التدخين وضرره صحيًّا واقتصاديًّا مع بقائه عليه قناعة كاذبة، وهذا ما يعود بنا إلى القول بأن محل الإقناع لا بد أن يكون في الفكر والعاطفة معًا بالقبول والرضا الذي يتجلَّى أثره في السلوك بالإتيان والترك؛ إذ الهدف الفعلي لأيِّ إقناع هو إشباع حاجات الفرد –مرسلًا كان أو مستقبلًا– وتحقيق رغباته، هذا الإشباع لا يمكن أن يتحقَّق عشوائيًّا؛ فعملية التأثير في المخاطب لا بد أن تمُرَّ بعدة مراحل حتى تصل إلى النتيجة المرجوَّة. لذا، أشار "راين" و"جروس" إلى أن تبنِّي الفكرة الجديدة يتمُّ عبر أربع مراحل، هي [١]:

١– الشعور بالفكرة.
٢– الاقتناع بفائدتها.
٣– محاولة قبولها.
٤– التبني الكامل لها.

فكلُّ عملية إقناع لا بد أن تبدأ من الإدراك المتمثِّل في شعور المخاطب بالفكرة أو الاتجاه الجديد، ومن ثمَّ قبولها أو رفضها مبدئيًّا، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة من التفكُّر في المصلحة، ومدى النفع والضرر الناتج عنها من خلال التقييم والمقارنة، ومن ثمَّ التجريب، ومحاولة القبول والاستفادة، لتنتهي هذه العمليات الفكرية إلى مرحلة الاقتناع الكامل شفهيًّا أو عمليًّا، وهنا تصبح الفكرة جزءًا من الكيان الثقافي للمخاطب. ومع التطوُّر العصري بدا الإقناع سلاحًا إستراتيجيًّا في شتَّى مناحي الحياة، الأمر الذي جعل منه ظاهرة علمية تتمتَّع بنظريات اجتماعية، وآليات لغوية وبلاغية، تعتمد على وسائل وآليات داخلية تتضافر في نجاح الوظيفة الإقناعية للخطاب، يمكن فصلها إلى قسمينِ، هما: الآليات المنطقية الدلالية، والأساليب اللغوية.

ومن الضروري أن نتعرف على معنى الخطاب، ففي لسان العرب: " والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وهما يتخاطبان[٢]، وفي القرآن الكريم: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} [ص: ٢٠]، والخطاب في المعاجم العربية يعني الكلام المتبادل بين المتخاطبين.

وفصل الخطاب عبارة تُشرح بمعنى الحجاج والإقناع والقدرة على ممارستهما، فقد قيل: إن فصل الخطاب هو: "البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه"[٣]، وربما تعرف بمعنى التخلص، وهو فن يستند إليه أحيانًا الشعراء والكتاب والخطباء في بناء خطاباتهم، ويستخدم البلاغيون بعض المصطلحات بمعنى الخطاب منها: الكلام، المقام... والأمر يتعلق في كل هذه المصطلحات باللغة.

وقد ورد لفظ الخطاب بكثرة عند علماء الأصول نظرًا لكونه الأرضية التي استقامت عليها أعمالهم، فالآمدي يعرفه بقوله: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه[٤].

ويأتي الخطاب على أنواع عديدة، منها ما يرتبط بغرض الخطاب، كالخطاب الحجاجي والسردي والوصفي وغيرها، ومنها ما يتعلق بنوع المشاركة كأن يكون حوارًا، أو مجرد منولوج، وأخرى تتعلق بطريقة المشاركة مباشرة، أو غير مباشرة، إلى جانب نوع آخر للخطاب يتعلق بنوع قناة

(١) انظر: علي عجوة: دراسات في العلاقات العامة والإعلام، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٥م، ص٢٦.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة (خطب).

(٣) انظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص٥٤٩.

(٤) انظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام المحقق، عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان (١/ ٩٥).

تمريره، كأن يكون خطابًا لسانيًّا شفويًّا أو مكتوبًا، أو غير ذلك من الأنماط[١].

**المطلب الثاني: الآليات المنطقية الدلالية للإقناع الخطابي:**

**الحجاج:**

فالحجاج فضلًا عن كونه آلية إقناعية، يُعَدُّ بُعدًا جوهريًّا من أبعاد الخطاب الإقناعي، بل هو أساس كلِّ عملية إقناعية؛ فالهدف التداولي من الحجاج هو تحصيل الإقناع، وحتى تكتمل عملية الإقناع، فإن أول ما يهتمُّ به المتكلم هو البصر بالحُجة، ينتقي من الحجج ما يناسب سياق خطابه؛ ليسُدَّ على المخاطب كلَّ سبيل للشك أو منفذ للطعن في فكرته، ولعل هذه الأهمية هي التي سمت به إلى أعلى درجات البلاغة –حسب وصف الجاحظ– في قوله: "جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة... ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحًا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر.[٢] وإذا كان الحجاج بهذه الأهمية، فيهمُّنا أن نعرف كيفية اشتغاله في سيرورة الخطاب الإقناعي!!

يُعرَّف الحجاج بأنه "كلُّ منطوق به مُوجَّه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراض عليها"[٣]، هذا المفهوم يقودنا إلى عدة معايير تحكم سيرورة الحجة نفسها، تتلخَّص في أنه مُوجَّه إلى المخاطب، وأن مُسلَّماته لا تعدو إلا أن تكون احتمالية، وليست نتائجه ملزمةً مادام الاعتراض عليها ممكنًا، كما أن للمتكلم أن يدعم خطابه بأنواع الحجج المختلفة، يتخيَّر أقواها تأثيرًا في إقناع المخاطب؛ فالحجاج في البلاغة الجديدة قائمٌ على الاختلاف، محكومٌ بمُسلَّمات وتقنيات ومرتكزات من شأنها أن تستدرج المخاطب، وتدفعه للفعل أو الترك، هذه المُسلَّمات هي نقطة انطلاق الحجاج، والتي يمكن إجمالها في العناوين الآتية[٤]:

١– الوقائع: تتمثَّل فيما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس[٥]، يتبلور دورها الحجاجي في كونها ليست عُرضةً للدحض أو التشكيك. لذا، فهي نقطة إطلاق ممكنة للحجاج. على أن الوقائع تنقسم إلى وقائع مشاهدة معاينة، ووقائع مفترضة. ويُعَدُّ التسليم بالواقعة من قِبل الفرد ليس إلا تجاوبًا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق؛ إذ الواقع يقتضي إجماعًا كونيًّا[٦].

٢– الحقائق: تُعَدُّ أكثر تعقيدًا من الوقائع؛ إذ تقوم على الربط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات مُتَّفَق عليها لتحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة. فتعتمد على نظريات علمية أو فلسفية

(١) انظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمام، الرباط، ص٢٠– ٢١.

(٢) انظر: الجاحظ: البيان والتبين، شرح وتعليق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م، ج١، ص٨٨.

(٣) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العرب، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٢٦.

(٤) انظر: عبدالله صولة: الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ت، ص٣٠٨.

(٥) انظر: عبدالله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م، ص٢٤.

(٦) عبدالله صولة: الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته، م.س، ص٣٠٨.

أو دينية يربط بينها وبين الفكرة؛ ليتقبَّلها المخاطب، ويؤمن بها[١].

٣- الافتراضات: شأنها شأن الوقائع والحقائق، تحظى بالموافقة العامة، بيد أن التسليم بها لا يكون قويًّا حتى تدعمها عناصر حجاجية أخرى كالقياس؛ فهي تتطلَّب فكرًا واعيًا حتى تؤدي دورها الإقناعي.

أ- القيم: وهي مدار الحجاج، لا يخلو منها نصٌّ حجاجيٌّ؛ يُعوِّل عليها المتكلم في جعل السامع يُذعن لما يُطرَح عليه من آراء[٢]. وتنقسم قسمينِ: قيم مجردة كالحق والعدل، ومحسوسة كالوطن والمسجد والمدرسة.

ب-الهرميات: تُعَدُّ هرمية القيم في البنية الحجاجية أهمَّ من القيم نفسها؛ فالقيم وإن كانت تُسلِّم بها الجماهير، فإن درجة تسليمها بها تكون مختلفة من جمهور إلى آخر، وهو ما يعني أن القيم درجاتٌ؛ فالقيم المجردة تعدّ العدلَ أفضلَ من النافع، والمحسوسة تعدّ الإنسان أفضل من الحيوان[٣].

ج- المواضع: هي المعاني التي يُمكن للمتكلم أن يُثبت من خلالها أن شيئًا ما أفضل من آخر؛ طلبًا للتصديق. وهو أنواع:

- مواضع الكم: وهي المواضع التي تثبت أن شيئًا ما أفضل من آخر لأسباب الكم، كتفضيل رأي الأغلبية على الأقلية، ومنه تفضيل رأي أرسطو للعدل والعفة على الشجاعة؛ لكون نفعهما دائمًا في مقابل نفع الشجاعة الذي لا يصلح إلا في أوقات معينة.
- مواضع الكيف: وهي ضد الكم، بمعنى أنها واحدة ضد جمع، كالحقيقة التي يضمنها الله مقابل آراء البشر المختلفة.
- مواضع الموجود: وتعني أن الموجود والواقع أفضل من المحتمل والممكن.

هذه المُسلَّمات تُمثِّل نقطة انطلاق الحجاج؛ لأنها "تقوم على الحس المشترك بين أفراد جماعة ما."[٤] كما أنها تتحوَّل بفلسفة المتكلم في الإقناع من السلطة إلى بديل عملي يضمن التغيير والتأثير في معتقدات المخاطب وأفكاره دون إجبار؛ فهو يسعى لإقناع المخاطب بأفضلية الخيارات المقدَّمة له من خلال تفريغ ذهنه من كل الاقتناعات المخزونة في وعيه؛ ليملأه بالقناعات والحجج التي يُراد تثبيتها، ومن ثمَّ يتبنَّى المخاطب هذه الخيارات راغبًا بعد أن ترسخ لديه قناعة بجدواها، ومنه نفهم أن الحجاج في الخطاب الإقناعي "يشتغل باعتباره ضرورةً تُؤدِّي إلى نتيجة، أو موقف يحمل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يُوفِّر للمتخاطبين موادَّ إخبارية ضرورية؛ للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج: سؤال/ جواب."[٥] هذه الآلية التي يعمل بها الحجاج تتوقَّف على المتكلم في انتقاء أدواته اللغوية، ووسائله الحجاجية؛ لأن هذه المواد الإخبارية تختلف من خطاب إلى آخر، وتتغيَّر وسائلها التقنية من مُخاطَب إلى آخر حسب مُقتضى حاله وثقافته، بل طبقته الاجتماعية. لذا، "لا يكفي أن تكون للخطيب مُقدِّمات، بل لا

(١) السابق، ص٣٠٩.

(٢) السابق، ص٣١٠.

(٣) صولة، الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص٣١٠.

(٤) شاييم بيرلمان، ولوسي أولبرخت تيتكا: المصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، ترجمة: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٢٣م، ص١٣٢.

(٥) محمد علي القارصي: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماييز، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٩٨م، ص٣٩٤.

بد من الاختيار بينها"[١] أيها يتوقع أنها الأكثر فاعليةً وتحقيقًا للغاية.

**ثانيًا: الاستدلال الحجاجي ودوره في الإقناع الخطابي:**

تُفصح دلالة لفظة "الاستدلال" عن الدليل أو البينة أو الحجة، وعند وصفها بالحجاجي فإننا نقصد بها: " المعيار الذي يحصل به التبيين أو إظهار الحق وصدق الخبر، وفي منظور اللغوي البلاغي نجد أن مفهوم الاستدلال يُرادف القياس، لذا فهو لا يخرج عن حظيرة التشبيه والوصف والاستعارة."[٢] وعليه، فالاستدلال ليس عملية عقلية استنباطية، ولكنه عملية "خطابية" تقوم على علامات مادية ومعنوية تقف كشواهد وأمثلة على وجهة النظر، ومن أجل ذلك لا يخرج الاستدلال عن دائرة التشبيه والاستعارة.[٣] على أن البلاغة القديمة تُلحِق الاستدلال بعلمَيِ البيان والمعاني معًا، يقول السكاكي: "من تكملة علم المعاني في الاستدلال وهو اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ، ونفيه عنه بواسطة تركيب جُمل، تنبيه على ما عليه أصحاب هذا النوع من إباء أن يسموا الجملة الواحدة حجة واستدلالًا"[٤]، فجعل الاستدلال ضمن علم المعاني بوصفه ضابطًا للجمل الخبرية، وزاد الجرجاني هذه الوظيفة وضوحًا حين "سلك في تحليله للقول مسلكًا إبداعيًّا؛ حيث أعطى للمقولات النحوية أبعادًا تداولية، ومعاني جديدة، ووظائف تأثيرية مؤثرة"[٥]، وفق هذا المنظور، يصبح الاستدلال الحجاجي آلية عقلية لغوية تنطلق من المعنى الاستعاري والتركيبي معًا، بحيث تُشكِّل دلالة عقلية بيانية. وقد زاد "بيرلمان" هذا المحور وضوحًا حين قسَّمه قسمينِ: طرائق الوصل، وطرائق الفصل.

١- طرائق الوصل، وقُصد بها "الصور الحجاجية التي تُقرِّب بين الأشكال والصيغ المتباينة، وتتيح نوعًا من التضامن بينها؛ لأجل بناء وتقويم أحد عناصرها بواسطة الآخر تقويمًا إيجابيًّا أو سلبيًّا"[٦]، وعد منها:

أ- الحجج شبه المنطقية، كالتضاد، والتناقض، والتماثل، والعدل، وإدماج الجزء في الكل.

ب- الحجج القائمة على بنية الواقع، كالاتصال التتابعي، والتواجدي.

ج- الحجج المُؤسِّسة لبنية الواقع، كالمثل، والنموذج، والتمثيل.

٢- طرائق الفصل، ويُقصَد بها "التقنيات بغرض إحداث قطيعة بين عناصر متضامنة الأجزاء في إطار نظام فكري واحد"[٧]، كوصف الشيء بالوجود والعدم في الوقت نفسه، تريد المبالغة في حطِّ الشيء والوضع منه، كوصف شخص ما بأنه رجلٌ، وتفريغه من معاني الرجولة، كأنه قل في المعاني التي يظهر للشيء بها قدر ويصير وجوده وجودًا كاملًا.

بدت أهمية الاستدلال الحجاجي في كونه وسيلة يتوسل بها العقل والبيان معًا للإقناع وكشف الحقائق؛ فعندما نريد معرفة بواطن الحقائق، وتكون الحواس عاجزة عن

(١) صولة: الحجاج، أطره ومنطلقاته، ص٣١٤.

(٢) حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج ٣٠، ع١، يوليو ٢٠٠١، ص١٢٤.

(٣) السابق نفسه.

(٤) محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط وشرح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص٤٣٨.

(٥) عبد السلام عشير: إشكالات التواصل والحجاج، (مقاربة تداولية معرفية) رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، المغرب، ٢٠٠٠م، ص٩٢.

(٦) بيرلمان: المصنف في الحجاج، ص٢٥٥.

(٧) السابق، ص٢٥٥-٢٥٦.

إدراك هذه المعرفة، والعقول مختلفة فيها، تصبح الحاجة ماسَّة إلى وجوه الاستدلال كـ "نوع من أنواع معرفة الغائب بالشاهد، كما أنه يُمثِّل إحدى طرق التصديق واليقين إلى جانب الخبر."[١] ووسيلة منطقية دلالية من وسائل الإقناع تهدف إلى الكفاءة التداولية في الخطاب، تقوم على الفعل العقلي مستندةً إلى المستوى التركيبي والبلاغي في إنجاز الحجة، وإقامة الدليل.

**ثالثًا: الوسائل التداولية واللغوية للحجاج ودوره في الإقناع الخطابي:**

لا شك أن حساسية الخطاب الإقناعي ستفرض نمطًا لغويًّا يتغيا سرعة الإنجاز، ودقة الوصف، هذا فضلًا عن شروط الفصاحة والسلامة والوضوح، فالإقناع خطاب فكر ووجدان، له هدف ثابت ينشُدُهُ في ضوء لغة خالية من الغموض والأخطاء، وسياقات متماسكة، تخلو من التفكُّك والتشظي، هذه الشروط تجعل لغة الخطاب الإقناعي شديدة الحساسية، تتطلب متكلمًا مفوهًا يُطوِّعها بخبرته وموهبته؛ فالخطاب يستمدُّ قوته من قوة وحجية المتكلم. ولعل المتكلم هنا أشدُّ حاجة إلى دراية وخبرة بالروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية في الربط بين عناصر الحجة، وتأكيد الفكرة والإلحاح عليها، وفرض سلطة المتكلم على المخاطب، والتأثير عليه، ودفعه إلى الإيمان بالفكرة.

**١- الروابط الحجاجية:**

يتصل اسمها بالحجة كدليلٍ على أهميَّتها وتخصُّصها في الربط بين ملفوظين أو قضيتين، فهي تربط بين المتغيرات الحجاجية، وتعرف بأنها: "عدة لغوية تصل بين ملفوظين أو أكثر تمَّ سوقهما ضمن نفس الإستراتيجية الحجاجية"[٢]، هذه الروابط لا غنًى عنها في أي خطاب إقناعي، نعُدُّ منها: حتى، لاسيما، بما أن، إذن، إذ، لأن، الواو، الفاء، كي، لام التعليل... وغيرها. تتوسَّط هذه الروابط متغيرين حجاجيين، فتربط بينهما مُكوِّنة علاقات جديدة كسوق الحجج بأدوات: (حتى، بل، لكن، لأن) أو سوق النتيجة بأداة (إذن)، أو مساندة الحجة بأدوات: (حتى، ولاسيما)، وغيرها من العلاقات التي تدفع بالحجة نحو التصديق والإقناع.

**٢- العوامل الحجاجية:**

وهي تختلف عن الروابط الحجاجية؛ في كونها تُقيِّد إمكانات الحجة للقول وتحصرها، تعرف بأنها "عدة لغوية إذا تمَّ إعمالها في ملفوظ معين، فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ"[٣]، من أهم أدواته: ربما، تقريبًا، كاد، قليلًا، كثيرًا، ما، إلا، أدوات القصر.

**٣- التكرار:**

لا تخلو بنية الخطاب الإقناعي من تكرار الملفوظ وترديده، أو صياغة المعنى أكثر من مرة، إنه تكرار لأجل تأكيد المعنى أو تثبيت الفكرة. لذا يعد ظاهرة مقامية ترتبط بالوظيفة الاتصالية الإقناعية، يهدف إلى توكيد الحجة أو كما يراه أبو هلال العسكري من أنه ربط بين مد القول وبلوغه الشفاء والإقناع[٤]، وكما تراه اللسانيات الحديثة من خلال دوره في إحالة اللفظ المكرر على لفظ آخر سابق مرادف، أو مرادف قريب، يرتبط

(١) حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، ص١٢٥.

(٢) رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، مقال ضمن مُؤلَّف: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب، إربد، ط١، ٢٠١٠م، ج٢، ص١٠٠.

(٣) السابق، ج٢، ص١٠٢.

(٤) أبو هلال العسكري: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م، ص١٥٦.

بالإحالة المشتركة.[١] ولأهمية هذا النمط الإقناعية، فقد اعتمد عليه الحجاج العربي اعتمادًا مباشرًا بوصفه وسيلة مؤثرة، تقول عنها "باربرا كوتش" إن الحجاج العربي يعتمد في الإقناع على العرض اللغوي للدعاوى الحجاجية وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية إيقاعية بنائية متكررة، وترى أن هذا النوع من الحجاج هو نتيجة المركزية الثقافية للغة العربية في المجتمع العربي الإسلامي"[٢]، بل تعُدُّها إستراتيجية مستقلة، فتطلق عليها "إستراتيجية الإقناع بالتكرير (Repeating)، وبالصياغة الموازية (Rephrasting)، وبإلباس الدعوى وإعادة إلباسها إيقاعات نغمية متغيرة من الكلمات، تسميها باسم "إستراتيجية العرض"، أي: لاستحضار الشيء أمام الإنسان حتى يتعلَّق به شعوره"[٣]، هذا الدور التأثيري للتكرار يشمل المتلقي العام والمثقف، الفرد والجماعة، ويتمتَّع بفاعلية سريعة الاستجابة؛ فهو لا يحتاج إلى دليل عقلي يدعمه، بل بفضل ملكته في جذب الانتباه يقع في النفس موقع القبول، فيختمر في الذهن، وينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية.

## المبحث الثاني: الممارسة الخطابية وآلياتها التأثيرية في لقاء الغذامي مع قناة العربية إف إم (Alarabiya FM)، بتاريخ ٢٠٢٤/٨/٣١م.

### المطلب الأول: مضمون اللقاء وأهم القضايا التي تناولها:

استمرَّ هذا اللقاء مدةً تزيد عن ثلاث ساعات، تطرَّق خلالها لعدة أفكار، وناقش عدة قضايا وموضوعات، جاءت في هيئة حوار من سؤال وجواب، وتفصيلها يأتي على النحو الآتي:

- **قضايا سياسية:**

١- أثر فيلم حياة الماعز دوليًّا ومحليًّا.

٢- ترشيح ترامب وكاملا هاريس للرئاسة الأمريكية.

٣- الحملة المتزايدة في التوجُّه نحو تسييس العالم في مختلف المنصات.

- **قضايا اجتماعية:**

١- أثر مواقع التواصل في النخبة.

٢- سقوط النخبة وبروز الشعبي.

- **قضايا ثقافية:**

١- الدور الثقافي والإعلامي للصحافة والمنابر الأدبية والتلفزيون ومنصة إكس.

٢- الحداثة وأفكار الصحوة.

٣- الثقافة المتعالية على العامة.

٤- أثر وسائل التواصل على السيولة المعرفية والمعلوماتية.

٥- أثر وسائل التواصل على المثقف والكاتب والمؤلف.

- **قضايا أدبية:**

١- صراعه الفكري مع أدونيس.

٢- موقفه من المتنبي.

٣- موقفه من بعض الشعراء السعوديين.

٤- مستوى الرواية السعودية الآن.

- **قضايا التعليم:**

١- الابتعاث ودوره معرفيًّا وثقافيًّا.

٢- دخول مادة الفلسفة للمناهج التعليمية.

٣- ضرورة التعليم الناقد في مدارسنا.

---

(١) محمد السيد سليمان العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، م.س، ص٦٢.

(٢) السابق، ص٦٣.

(٣) نفسه.

٤- أثر تدريس مادة الموسيقى في سن مبكرة.

- **موضوعات شخصية:**

١- غرامه بالقراءة واقتناء الكتب.

٢- جمع العصي والمسابح.

٣- ذائقته الفنية في سماع أم كلثوم وعبد الحليم ومحمد عبده وطلال مداح.

**المطلب الثاني: عناصر الخطاب وسماته:**

**أ – عناصر الخطاب:**

تمثَّلت عناصر الخطاب داخل اللقاء في أربعة عناصر، هي:

١- المُحاوِر (السائل)، متمثلًا في مذيعة قناة العربية إف إم.

٢- المُخاطَب (المُجاوب)، متمثلًا في شخص الغذامي، وهو العنصر الفاعل المنتج للخطاب.

٣- نص الخطاب (الوسيط).

٤- المتلقي (المرسل إليه)، متمثلًا في الجمهور.

**ب: سمات الخطاب.**

رغم الصيغة العامة وسمت الخطاب في هيئة حوارية من سؤال وجواب، فقد طغى السرد الخبري على لغته؛ فالغذامي الذي يتحيَّن السؤال ينطلق في تفنيده، والإجابة عنه بلغة واضحة مباشرة، دقيقة في وضع ألفاظها في موضعها الصحيح الذي لا يقبل التأويل أو النقد، ورغم مجيء الأسئلة عشوائية متنقلة بين قضايا اللقاء دون ترتيب، فإن إجاباته كانت هادئة تنُمُّ عن وعي وثقافة وسعة أفق، فضلًا عن لغته القريبة التي خاطب بها المتلقي بأنماطه وفئاته؛ العام منها والمثقف، نطالع ردَّه على السؤال الآتي:

"المذيعة: بين التأليف والصحافة والمنابر الأدبية والتلفزيون، واليوم منصة إكس وأخواتها من تطبيقات التواصل. كيف تصف تجربتك في طرح الأفكار ومعالجتها بين كل تلك الوسائط؟

الضيف: الأصل الأصل الأصل اللبّة الأصل هي القراءة. لو ألغينا عنصر القراءة عن كل هذا اللي تفضلتِ فيه، الباقي كله يسقط. القراءة هي التي ينتظم بعدها كل شيء، يأتي التأليف، يأتي التلفزيون، والمحاضرات، واللقاءات، مثل هذا اللقاء... هذا اللقاء اللي بيننا الآن هو نتيجة لقراءاتٍ ابتدأت معي من الصغر، لو ما ابتدأت أنا ما وصلت للكرسي اللي قدامك..."(١).

تبدو لغة الحوار واضحة سلسة، مباشرة في دلالتها، سهلة الفهم، يستوعبها المتلقي دون عناء، تتنوَّع بين الفصحى والعامية المُهذَّبة. هذا الوضوح أزال كلَّ محاولة لعرقلة المعنى أو دخوله مجال التأويل والاحتمال؛ إذ قدَّم للإجابة بآلية التكرار؛ ليترسخ في وعي المتلقي أن الإجابة صريحة صادقة، نابعة عن تجربة واقعية، فضلًا عن مكانة مُنشئها بوصفه أحد أبرز رجال الفكر والثقافة في المملكة والوطن العربي، والإجابة التي تأتي مختصرة مباشرة في جملة: (هي القراءة)، تُردفها استدلالات حجاجية تنتهي بحدث واقعي لا يملك معه المخاطب أيَّ وسيلة لنفي الخبر أو التشكيك فيه: (هذا اللقاء اللي بيننا الآن هو نتيجة لقراءات ابتدأت معي من الصغر).

يقودنا المقطع السابق إلى سمة أخرى للخطاب، تتمثَّل في الإيجاز والاختصار؛ فهو إذ يرمي بالإجابة مباشرة خالية من المُقدِّمات التي تصيب المتلقي بالملل والضجر، يُلحقها بجُمل تُفصِّل إيجازها، هذه الجمل –بدورها– تأتي مختصرة سريعة، تصيب هدفها الإقناعي دون إسهاب أو

(١) الغذامي: نص اللقاء.

خلل، يصوغها نتائجَ وحقائق لا تقبل التأويل: (القراءة هي التي ينتظم بعدها كل شيء)، ورغم حرص الغذامي على تأكيد فكرته من خلال الاستطراد أحيانًا، فإنه في ملاحقته للفكرة لا ينفك من الجُمل السريعة المختصرة كطرقات جاءت سريعة بمطرقة تثبت الفكرة وتُؤكِّدها: (...يأتي التأليف، يأتي التلفزيون، والمحاضرات، واللقاءات)، تعتمد هذه الاختصارات على إستراتيجية الحذف، وهي سمة أخرى من سمات الخطاب؛ فالغذامي الحريص على فكرته يعرف مقام المتلقي أمام الشاشة لاسيما في مثل هذه اللقاءات التي تفتقر إلى الدراما والحركة. لذا، كان حرصه أكثَرَ على بث أفكاره في غلاف لغوي سريع الإرسال، سريع التلقي، سريع الاستجابة، وهذه المُقوِّمات الأسلوبية يُوفِّرها الإيجاز والاختصار. كذلك، يتسم الخطاب بالتماسك؛ فالأفكار متتابعة منتظمة وفق مبدأ التعاقب، تعاقب الإجابة للسؤال من جهةٍ، وتعاقب النتيجة للسبب من جهة ثانية، وتعاقب التفصيل للإجمال من جهة ثالثة، نُطالع جزءًا من ردّه على سؤال:

"المذيعة: انشغالات الغذامي بالاتجاهات والقضايا الفكرية والسياسية. ألَمْ تُؤثِّر على إنتاجه ومشاركته العلمية والتأليفية في تخصصه الأكاديمي، ألا وهو الأدب والنقد؟

الضيف: طبعًا أنا غادرت الأدب والنقد من زمان، انتقلت إلى النقد الثقافي... النقد الثقافي يهتمُّ بكل هذه المسائل؛ يهتمُّ بقراءة الظاهرة الثقافية، كيف تحدث؟ وكيف تزول؟ وشروطها وعلاماتها؟ هذا جزء من النقد الثقافي..."[١]

يأتي الخطاب في صورة سلسة حلقاتها متصلة سواء في غلافه الخارجي (سؤال/ جواب)، أو في متنها الداخلي من تفصيل الفكرة بعد إجمالها. هذا فضلًا عن السمات السابقة التي أشرنا إليها، والتي يُؤكِّدها السرد في هذه الفقرة؛ فتأكيد الإجابة قبل إطلاقها مباشرة صريحة، في لغة واضحة مشفوعة بالبراهين المنطقية، والاستدلالات الحجاجية التي تجعل الفكرة في رُمتها واضحة متكاملة، ما يرسخها في وعي المتلقي كأنها الحقيقة الناصعة التي لا تقبل الجدال أو النقد.

رغم تلقائية السرد فإن الغذامي استطاع تنظيم أفكاره وبناء جمله، بل أضفى عليها طابعه الهادئ بنبرته اللينة، وتودُّده الذي استطاع من خلاله أن يستميل وجدان المتلقي، فتقع الفكرة في نفسه قبل عقله، نأى عن اللغة المُوحشة والمبتذلة، كما تحاشى الأفكار العصبية والمستفزة، واحترم ذهن المتلقي حين عمد إلى التأثير العقلاني القائم على البراهين العقلية، والحجج المنطقية الهادفة إلى الوصول إلى الحقيقة من خلال المعلومات الصحيحة؛ مراعيًا أخلاقيات الخطاب التي تفرض "أن المرء لا بد أن يتعامل مع أقرانه من البشر بوصفهم غايات في ذواتهم، وليس كوسائل للوصول إلى غاية"[٢].

كما أنه ابتعد عن التأثير الخداعي الذي لا يلتزم بمصداقية المحتوى ويتجاهل القيم الأسلوبية، يأتي فارغًا من المحتوى الهادف كالذي نراه اليوم في كثير من الأساليب الإعلانية والدعائية التي تخاطب الجماهير على شاشات التلفاز، ووسائل التواصل الاجتماعي، أو ما نراه من العلامات الإشهارية التي تملأ شوارعنا، وتغُصُّ بها مجتمعاتنا، أو ما نراه من خطابات تعُجُّ بها منتدياتنا بهدف خدمة فئات وأفكار متطرفة تُطمَسُ من خلالها

(١) الغذامي: نص اللقاء.

(٢) عامر مصباح: الإقناع الاجتماعي (خلفيته النظرية وآلياته العملية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٥م، ص١٧.

الحقائق، وتُشكِّكُ الأمم في أُسُسها ومعتقداتها، ويُزوِّدُ فيه المخاطب بالمعلومات المشوَّهة. وهذا النمط لا يتوافق والمبادئ الأخلاقية؛ لأن الناس في هذا النمط لا يعاملون كغايات وإنما كوسائل وأدوات أو مواضيع لتحقق الأغراض.[١] يتضح هذا من خلال القضايا التي ناقشها في أمور تمسُّ الجمهور مباشرة، سواء في مجالات السياسة أو الاجتماع أو الثقافة، حتى الموضوعات الشخصية؛ فقد تطرَّق فيها إلى ما ينشده جمهوره ومحبوه من معرفة تفاصيل حياته التي تعد قدوة للناشئة ولغيرهم ممَّن اقتنع بأفكاره فانتهج نهجه في القراءة والثقافة.

**المطلب الثالث: الآليات المنطقية الدلالية للحجاج:**

**١- مرتكزات الحجاج:**

اعتمد الغذامي في حواره وإجاباته على مرتكزات الحجاج نقاطَ انطلاق لبراهينه، فاستشهد بالوقائع والحقائق، واستند إلى القيم، من ذلك ما تضمَّنه ردُّه على سؤال المحاورة – ضمن حوارهما عن صدى فيلم "حياة الماعز"– عن الحملات الممنهجة ضد المملكة وكيفية التعاطي معها ثقافيًّا وإعلاميًّا؟

يقول: "أن نغضب من فيلم، أن نغضب من تمثيل لحالةٍ ما، وهذه الحالة نعرف أنها حالة بشرية ممكن تقع في أي مجتمع. ما في مجتمع طهوري ١٠٠٪، مستحيل. أن يقع حادثة كهذه الحادثة التي يزعم الفيلم أنها حدثت، تحدث. واحد يخطئ ويعاقب، وواحد مجني عليه وله حق. وهذه الأمور تتكرر بكل مكان. فلا تعني أن المجتمع السعودي هكذا، ولا تعني أننا نغضب لأن حادثة ما وقعت في مجتمعنا. الحوادث تقع في كل بيئة، في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، زمن الصحابة، أقيمت الحدود في المدينة المنورة، هل نقول إن العيب في المدينة أو في الرسالة أو في الجيل الأول!

البشر بشر. فنفرغ من ذي، إنها مسألة عادية أن تحدث."[٢]

رغم ما أحدثه فيلم "حياة الماعز" من ضجيج إعلامي شغل المجتمع العالمي والسعودي خاصة، تباينت حوله الآراء، ولاكته ألسنة العامة والخاصة، حتى أصبح مستنقعًا يلغ فيه كل شانئ وحاقد على المملكة العربية السعودية، مستغلًّا ثقافة القطيع، إلا أن الغذامي استطاع إيقاف هذا الضجيج بحُججه المقنعة القائمة على مرتكزات الوقائع والحقائق والقِيم؛ فالمشترك بين الناس جميعًا أن أحداث الفيلم تُمثِّل حالة بشرية ممكن أن تحدث في أي مجتمع، وأنه لا يوجد مجتمع طهوري ١٠٠٪ – كما ذكر الغذامي– هذه وقائعُ لا تقبل التشكيك، ولا يمكن إنكارها. كما أنه قد ثبت حقيقة أن النبي –ﷺ– أقام الحدود في المدينة، فهل كان العيب في مجتمع المدينة أو الرسالة أو في أخلاق الصحابة؟!! هذه الحقيقة تقودُنا إلى التسليم بأن كل مجتمع يتخلَّله الجميل والقبيح، الأخلاقي واللاأخلاقي، الملتزم والمارق، فمثالية القيم ليست حقيقة مطلقة في المجتمع، ولا يمكن أن تكون في جميع أفراد مجتمع ما حتى لو كان مجتمع المدينة في عهد الرسول –ﷺ– وهذا لا ينقص من قدر المدينة ولا قائدها ولا شعبها، وإنما هي فطرة الله في خلقه؛ (البشر بشر)، جملة ختم بها الغذامي حُجته، تحمل الكثير من المعاني والدلالات على صغر حجمها، واختزال مادتها.

عالج الغذامي فكرة الفيلم، وهذا هو جوهر القضية ولُبُّ المشكلة، ورغم أنه لم يشاهد الفيلم فإنه استطاع إقناع الجمهور من خلال تأسيس حُجته على مرتكزات لا تقبل

(١)عامر مصباح: الإقناع الاجتماعي (خلفيته النظرية وآلياته العملية، ص١٧.

(٢) الغذامي: نص اللقاء.

النقاش والجدل، فلم يُنكر الفكرة لمجرد خبثها أو يتعصَّب ضدها، ويحمل على صاحبها منساقًا وراء عواطفه بوصفه سعوديًّا غيورًا على وطنه، لكنه قاد فكر المتلقي ووجدانه نحو الوسطية؛ حيث يسلم العقل والوجدان بوقائع وحقائق تبرهن أن هذه الأحداث أو تلك "لا تعني أن المجتمع السعودي هكذا، الحوادث تقع في كل بيئة". ورغم أسبقية الحديث عن الاستدلال الحجاجي والقياس، فإن النص الإقناعي هنا يظهر مدى فاعليته في تأكيد الافتراضات التي تثبت الفكرة، وتقنع المتلقي بالتسليم بها؛ فالحقيقة الثابتة التي ينتهي عندها صخب هذه الفكرة وتهدأ عندها عواصفها: "البشر بشر"، والنتيجة: أنها حادثة كأية حادثة وقعت وتقع وستقع في جميع مجتمعات البشر، فهي ليست من صفات المجتمع ولا الإنسان السعودي، ولا تنقص من شأن السعودية، ولا تستدعي كل هذه الجلبة والصخب المثار حولها. من ناحيةٍ أخرى، اعتمد الغذامي على المواضع في إثبات حجته، مواضع الكم والكيف؛ إذ يتمثل الدور الإقناعي للمفاضلة والموازنة بين عدد المروجين لهذه الأحداث، والمنساقين خلفها مُقارنةً بأحداث أخرى أو بعدد الشعب السعودي مرتكزًا بديهيًّا يخاطب فكر المتلقي، ويقنعه بالفكرة، يقول الغذامي مستكملًا: "المواطن السعودي ليس هشًّا لدرجة أن يرعبه برنامج في البي بي سي أو يرعبه فيلم، والضجيج هذا لو قمنا بإحصاء يعني عدد التغريدات، كم؟ وعدد المشاركين والمشاركات في التغريد ضد الفيلم، كم؟ الرقم صغير مهما كان، مهما كان إذا قيس بالشعب السعودي كله... رقم صغير... والقراءة العاقلة والموضوعية لها تتقبل كل عناصر الحكاية بأطرافها كلها لكن يظل ظهرنا إلى جبل الطويق ووجهنا إلى الكعبة؛ هذه أمة لا يهزمها حادثة هنا أو هنا."[١]

إن الغذامي الذي أسَّس حججه على مرتكزات الوقائع والحقائق والقيم والافتراضات كان على وعي بضرورة إقامة جسر تواصل مع الجمهور يرتكز على مبادئ تستدرجه للإيمان بالفكرة والتسليم بها، مبادئ لا تقبل التشكيك، ولا تحتمل الأخذ والرد، على أنه لم يكتفِ بهذه المبادئ، بل عزَّزها بإستراتيجيات وآليات الحجاج، فما هذه المبادئ سوى منطلق لهذه الحجج.

**٢- الحجج:**

ركَّز (بيرلمان) في الحجاج على مبدأ الاحترام بين المتكلم وجمهوره، وهو ما يُطلَق عليه "حجة الإيتوس Ethos" حيث يكون التركيز على صدق الخطيب، وقيمته الأخلاقية عاملًا مساعدًا على إذعان الجمهور[٢]، بمعنى أن يكون خطابه على درجة رفيعة من الرقي الفكري، والابتعاد عن العنف الفكري، والخداع والتلاعب بالمشاعر. ولعل مثال الغذامي السابق كان أنموذجًا تطبيقيًّا لهذا النوع من الحجج؛ إذ احترام فكر المخاطب، وعدم التلاعب بمشاعره، خاصة تجاه قضية رأي عام حرجة كالقضية التي أثارها الفيلم، تمسُّ الإنسان والمجتمع والدولة السعودية؛ إذ يصبح من السهل التلاعبُ بمشاعر المخاطب في مثل هذا النوع من القضايا، ومن الأسهل خداعه وتضليله، لكن معالجة الغذامي للقضية واختياره لحججه وآلية توجيهها أظهر بلاغته في إقناع الجمهور. على أن الغذامي يُعوِّل على هذا النمط من الحجج في خطابه، مثال لك ما نجده في

(١) الغذامي: نص اللقاء.

(٢) انظر: عبدالله صولة: في نظرية الحجاج، ص٧٧.

حجاجه عن الفلسفة، يقول: "وجود الفلسفة أصلًا مثل وجود الشعر، مثل وجود النقد، مثل وجود النقد الثقافي، مثل وجود النقد الأنثروبولوجي، لازم تكون موجودة، لكن جرى في فترة كان المجتمع يُحرِّمها بوضوح؛ يعني مَن تفلسف... مَن تمنطق فقد تزندق... والفلسفة حرام ... وكان فيه فكرة أن الفلسفة كفر وإلحاد، وأن الفيلسوف كافر... طبعًا ما هو صحيح، ليس صحيحًا على الإطلاق من بدئها، حتى الغزالي قال عن سقراط وأفلاطون وأرسطو قال إنهم الفلاسفة الربَّانيون؛ لأنهم يؤمنون بإله بالخالق... ما في علم كافر وعلم ملحد، أصلًا الكافر أو الملحد هو الإنسان... الإنسان يكفر أو يلحد... نظرية التطوُّر ليست كافرة وليست مؤمنة، هي نظرية من النظريات يأخذها أناس مؤمنون ويتعاملون معها ويطورون ويشتغلون عليها ويأخذها ناس ملاحدة هم ملاحدة أصلًا... الإنسان هو المؤمن أو الملحد، القضية عند الإنسان وليس عند المفاهيم ولا المصطلحات."[١]

إن تفنيد الغذامي لقضية تكفير الفلسفة، ورفض دخولها للمناهج التعليمية بحجة كفرها مسألة بالغة الصعوبة والحرج؛ كونها تقع في نطاق قضايا التابوهات الثلاث، ومعالجة هذا النوع من القضايا يتطلب من المتكلم أن يكون خليقًا بالثقة، وأن يقنع بالأخلاق؛ لأن المخاطب هنا يستشعر بالثقة ما لا يستشعره بالمنطق والعقل، فالتعصب الديني والانفعال على عقلية المخاطب الذي يحرم ويحلل دون سند ديني أو برهان منطقي لا لشيء سوى التعصب الأعمى، لن يُسهم في حل القضية، بل بالعكس سيلقى ردَّ فعل مضادًّا يزيد من إصرار المخاطب على رأيه، وهنا تتجلى بلاغة الغذامي في قدرته على فهم الخلق الإنساني، وفهم انفعالات جمهوره، ومن ثمَّ مخاطبة عقل الجمهور بمختلف أشكاله، فنراه يستدرجه إلى الفكرة بعقلانية وحكمة، يضعه على المسار الصحيح للفكرة دون تعصُّب أو انفعال، فينتقل من منطقة الحرام والحلال إلى الإلحاد والإيمان، ليصبح الإنسان موصوفًا لا الفعل أو الحدث، ومنه تصبح الفلسفة بريئة مُبرَّأة من التحريم والتكفير. على أن حجة "الإيتوس" عند الغذامي لا تنفصل عن حجة "اللوقوس"؛ فالجانب الأخلاقي مجرد عامل مساعد تُعزِّزه حجج مقنعة صادرة عن القول نفسه، حجج يقبلها العقل ولا ينكرها، كالذي ساقه في الحجة السابقة من براهين تستند إلى الاستشهاد والتمثيل والتكرار وغيرها من أساليب تداولية ووسائل لغوية تُؤكِّد الفكرة، وتثبت صحتها.

على أن الغذامي كثيرًا ما يُعوِّل على حجة "السلطة" التي تستخدم أعمال شخص أو مجموعة أشخاص أو أحكامهم حجةً على صحة أطروحة ما، من ذلك حجته في ردِّه على اتجاهه نحو النقد الثقافي بديلًا عن النقد الأدبي، يقول: "النقد الثقافي يهتمُّ بقراءة الظاهرة الثقافية كيف تحدث؟ وكيف تزول؟ وشروطها وعلاماتها؟ هذا جزء من النقد الثقافي... أنا قلت بموت النقد الأدبي؛ لأنه في زمن تغيَّر كل شيء. لازم ندخل في الخطاب السياسي، والخطاب الاجتماعي، والخطاب الثقافي، والخطاب الأنثروبولوجي إلى آخره من الخطابات، والخطاب التاريخي طبعًا.. لما ندخل لهذه ونتبع الأنساق، وسيرورة الأنساق، وطريقة تأثير الأنساق على الذهنيات نبدأ نكتشف هذه المسائل كيف أن السياسة نفسها تنتمي إلى نسق يمتدُّ في الغرب مثلًا من أفلاطون إلى أمريكا الحديثة... من أفلاطون لما قال: "الحرية والعدالة للأقوى.."، أفلاطون قبل ٢٥ قرنًا.. في أمريكا هذا الذي ينطبق أن الحداثة والحرية للأقوى.. بدليل المظاهرات

(١) الغذامي: نص اللقاء.

اللي قام بها السود، وقالوا: حياة السود مهمة، بمعنى النسق الثقافي... لأني بالنقد الثقافي أنا كتبت كتابي "في نقد الليبرالية الجديدة"، وتتبَّعت حالة الليبرالية والديمقراطية في الغرب، وكيف انهيار الوعود التي فيها بأنها حرية وعدالة ومساواة، إنها لا حرية لا عدالة ولا مساواه؛ إنها طبقية.. حرية ومساواة لطبقة .... تمامًا ...نموذج أثينا يتكرر."(١)

السلطة هنا تجمع بين شخصية "أفلاطون" وسياسة الرأي العام الغربي، فسلطة أفلاطون مُعترَفٌ بها من قِبل الجمهور كمفكر وفيلسوف عالمي، وهي هنا بمثابة سلطة ذات نفوذ ثقافي تجعل من الحجة مجالًا للإقناع، لكنها تظل مفتقرة إلى ما يكملها. لذا، تأتي سلطة سياسة الرأي العام الغربي كبرهان يُعزِّز قوتها في تأكيد أهمية النقد الثقافي، ودوره في قراءة شاملة واعية لشتَّى مجالات الحياة والفن معًا.

**٣- الصور والأساليب الحجاجية:**

وفق منهج الخطابة الجديدة عند بيرلمان في تقسيمه للصور أو الأساليب الحجاجية إلى طريقتي الوصل والفصل، تبدو هاتان الصورتان جليتين في حجج الغذامي؛ تتجلَّى في الأولى حججه القائمة على الوصل السببي المُؤسِّس للواقع، التي يُعوِّل فيها على الاستعارة والتمثيل، كالذي نجده في إثباته لفكرة "وعي المجتمع بأفكار الصحوة"، يقول: "...هي ليست مسألة تجفيف منابع، هي مسألة تغير ثقافي، تغير للعقيدة والعقلية. أقصد ما بعقيدة للعقل الثقافية؛ لأن العقيدة قطع ورسوخ، العقلية هي الذهنية. الذهنية الثقافية تغيَّرت تجاوبت مع مشروع الرؤية الثقافية، الجميع تجاوب مع مشروع الرؤية... فاللي تغير هو أن العقل اللي كان يُساق من قبل التطرف وينتمي إليه ما كان عنده انتماء آخر، بس الآن لا، ما فيه فراغ ذهني عشان يملأ بأي شيء.

الشاعر يقول: أتاني هواها قبلَ أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلبًا فارغًا فتمكَّنا (٢)

القلب الخالي والعقل الخالي يتمكَّن منه أي شيء، لكن العقل المتشبِّع، والعقل المتطلع، والعقل الذي يجري وراء معنى، ويعرف أن ها المعنى أنا وأنتِ نسعى لتحقيقه... أنا وأنتِ نسعى للرؤية، وتحقيق الرؤية، ونتباهى ونفتخر بالرؤية، وننتمي إليها، فبالتالي ما عندنا هذا الفراغ اللي كان ممكن يُملأ بذلك."(٣)

ربط الغذامي بين أحكام مُسلَّم بها، وأحكام يسعى في خطابه إلى تأسيسها، تمثَّلت الأولى في قاعدة عامة يقتنع بها المخاطب ولا ينكرها؛ ففراغ فكر الإنسان، وخُلُوُّ ذهنه من أيِّ معتقدات أو أفكار أو توجيهات ثقافية يجعله مادة بكرًا يسهل تشكيلها، ويذلل مهمة توجيهها نحو أي أفكار هادفة كانت أو هدامة، بينما تمثَّلت الأخرى في أن الصحوة يجب أن تستثمر لملء فراغ هذه الأذهان البيضاء، وتوجيهها نحو ما يخدم مصالح بلادها. وتبدو الحجة هنا كأنها هيكلة بالوصل والضم؛ فالعامل الحجاجي الداخل على الملفوظ يُقوِّي توجهه إلى النتيجة المطلوبة. لذا يظهر الدور الحجاجي للشاهد الشعري الذي جاء تأكيدًا لصحة المُسلَّمات التي انطلق منها، مثَّل به الغذامي معتمدًا على دوره الواضح في تنشيط الوعي

(١) الغذامي: نص اللقاء.

(٢) البيت لمجنون ليلى، انظر: ديوانه، تحقيق: عبد الستار فراج، مكتبة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٢١٩.

(٣) الغذامي: نص اللقاء.

الجماهيري، واستمالته نحو الفكرة من جهةٍ، ولفته إلى العناصر المتباينة التي يستطيع من خلالها دمج المُسلَّمات بالفكرة بحيث تصير أحكامًا قاطعة تُشكِّل سبيلًا إلى تصديق ما يسعى إليه، والتسليم به.

يُعوِّل الغذامي على الصور الأسلوبية في خطابه الإقناعي كوسائل تقوية وتغذية، تُهيِّئ المخاطب لاستقبال الحجة، يستميل بها عقله ووجدانه من خلال تأثيرها الجمالي، وأثرها الخيالي، من ذلك ما جاء في ردِّه على مسألة تحريم الابتعاث، نطالع:

"المذيعة: ماذا عن الصراعات الثقافية والشرعية في مسألة الابتعاث وتحريمه وكيف تجاوزها المجتمع برأيك؟

الغذامي: يجب أن نعيد قراءة التحريم. التحريم زي الزائدة الدودية، يعني اللي هي موجودة بالجسد، وممكن تمرض، وقد تؤدي حتى إلى الوفاة. التحريم هو نفس هالنوع مثل الزائدة الدودية، لكن صوته عال فقط، لقد حرموا تعليم البنات مثلًا.. والبنات يتعلمن.. متجاورين... وفيه من يجهر أن الغناء حرام.. يحرمون البعثات والبعثات ماشية ومستمرة، فمجتمعنا قدر يتعامل مع هذه العقبات بسهولة."(١)

تحتلُّ الصورة الأسلوبية مكانة أساسية في الخطاب الإقناعي، تجسد الفكرة وتمنحها بُعدًا عاطفيًّا يُحوِّل المفهوم المجرد للتحريم إلى صورة ذهنية تجسد انفعالات المتكلم، فالوقوف عند المفهوم الشرعي للتحريم وعلاقته بالابتعاث من جهةٍ، والزج به إلى منطقة الصراعات الثقافية والشرعية من جهة أخرى أمرٌ يستفز الغذامي، ويُثير انفعاله؛ إذ على الجمهور أن يؤمن بمبدأ الفصل بين القضايا الثقافية والشرعية. لذا، فإن معالجة هذه الفكرة في ضوء هذه الفلسفة العامة للجماهير لا بد أن يستند إلى استدلال صوري ذي جدوى في إقامة الحجة من الملفوظ العاري عن التصوير والتمثيل، وهو ما استدعى جلبه للاستعارة في قوله: "قراءة التحريم" دعمًا للقول بلاغيًّا، لاسيما مع موقعها في صدر الحجة؛ إذ تبث معاني الدقة والإحاطة بمدلول الكلمة في وعي المخاطب، بينما يأتي التمثيل للكلمة (التحريم) بالزائدة الدودية حجة مؤسسة لبنية الواقع، حيث يأتي المثل حجة إضافية تُقوِّي توجُّه الفكرة إلى النتيجة الحاصلة من الملفوظ الأول.

تتواتر الصور البلاغية في الخطاب، فنرى حرص الغذامي على استحضار الكنايات حرصه على التجسيد والتشخيص، لا لأغراض جمالية فحسبُ، بل للتأثير والإقناع، يقول: "لم تعد الثقافة متعالية... سقراط كان يمشي بالشارع، ويتكلم مع الماشين، ويعطي دروسه. الثقافة المتعالية إما أن تجلس في الجامعة، تجلس في قلعتها، وتجلس في بيتها، تغلق بابها على نفسها، وهي آمنة... من دخل بيته وأغلق بابه فهو آمن، خلاص ما لنا شغل فيه... لكن الذي يريد أن يجعل من علمه أو من ثقافته حيوية في البشر... لازم يدخل مع البشر... يدخل مع هموم البشر.."(٢)

يُشكِّل الغذامي دعمًا لخطابه الإقناعي من خلال تشخيص الثقافة (الثقافة المتعالية)، فوصل الظاهر بالحقيقة يُشكّل علاقة حية بين طرفينِ متباينينِ في الأصل، لكنهما في التصوير الجديد استعارة نحيا بها، نتواصل بها، نضمن بها نجاح الحجة، ونجاعة الإقناع. لذا، فالثقافة المتعالية تجلس في الجامعة، وتجلس في قلعتها، وتجلس في بيتها، وتغلق بابها على نفسها، وغيرها من الاستعارات التي تُشخِّص الثقافة، وتخلق منها

(١) الغذامي: نص اللقاء

(٢) الغذامي: نص اللقاء.

جوهرًا يستحضره الغذامي؛ لضمان صحة العرض، يعيد صياغته بيانيًّا لتذليل الطريق، وتمهيده أمام الحجة، فيزيل العراقيل التي تحول دون فهمها وتقبُّلها.

**المطلب الرابع: الوسائل التداولية واللغوية في الخطاب:**

إن كل كلمة وجملة وردت على لسان الغذامي إنما خرجت بقصد التأثير، وحمل المخاطب على الاقتناع بما يعرض عليه من أفكار ومعتقدات، وهذا حاصل بالوسائل اللغوية التي يتوفر عليها؛ فاللغة جزءٌ من شخصية منشئها، هي هنا موصولة بشخص الغذامي الناقد، والمفكر الثقافي المعروف، لذا فالمظهر الجمالي والبلاغي "الإيتوس" لا بد أن يكون بقدر الشخصية نفسها؛ إذ "لا وجود للوغوس مقنع دون إيتوس مؤثر"(١)،

بمعنى أننا لا يمكن أن نتلقى الخطاب بمعزل عن الصورة التي تكوَّنت في أذهاننا عن المتكلم، سواء أكانت نتيجة معروفة مسبقًا عنه، أم كانت نتيجة انطباعات تشكَّلت في أثناء التلقي لهذا اللقاء، وإذا كان المتكلم بهذه الكيفية، وتلك المنزلة الثقافية موضع ثقة للجمهور باتت حججه أكثر حاجة إلى مصداقية تحافظ على هذه الثقة، وتحفظ مكانتها، وإذا كان كل تلفظ يُشكِّل فعلًا يطمح إلى تغيير وضعية مَن يتوجه إليه الخطاب، فإن الأساليب التداولية والوسائل اللغوية شأنها شأن الحجج والاستدلالات ستؤدي دورًا محوريًّا وفعالًا في تحقيق الإقناع والتصديق، بل استدراج المخاطب للانخراط في الفكرة والمشاركة فيها بدلًا من أن يكون ندًّا وخصمًا لها، ويمكن الوقوف على هذه الدلالات من خلال بعض الأساليب والوسائل الواردة في نص اللقاء:

(١) محمد مشبال: في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، عمان، ط٢، ٢٠١٦م، ص١٦٩.

| الأساليب التداولية والوسائل اللغوية | أدواتها وصيغها في نص المقابلة | وظيفتها التداولية |
|---|---|---|
| التوكيد والإثبات | ● البشر بشر... فنفرغ من ذي، إنها مسألة عادية أن تحدث.<br>● إحسان التعامل مع وسائل الاتصال العامة، لا أقول حالة إدمان، وإنما حالة متعة.<br>● طبعًا، أنا لا أقول هذا الكلام بسعادة؛ انهيار الغرب سيئ جدًّا للإنسانية كلها، وللعالم كله؛ لأن أيَّ كينونات كبرى تنهار يترتَّب عليها وجود كينونات عشوائية. | تقوية المعنى وتمكينه في ذهن المخاطب ووجدانه، بحيث يُؤكِّد مضمون الحكم أو اللفظة دون تجوُّز ولا حذف. |
| النفي | ● لم تعد الثقافة متعالية.<br>● أنا كتبت كتابي "في نقد الليبرالية الجديدة"، وتتبَّعت حالة الليبرالية والديمقراطية في الغرب، وكيف انهيار الوعود التي فيها بأنها حرية وعدالة ومساواة، إنها لا حرية لا عدالة ولا مساواة؛ إنها طبقية.<br>● ما في مجتمع طهوري ١٠٠٪، مستحيل. | دحض وتكذيب الفكرة الثابتة لدى المخاطب لتقويمها أو لإقامة أخرى عكسها ينشدها المتكلم. |
| الاستدراك | ● أحفظ شعره وأتذوَّقه، وإلى الآن أحبُّه كله... كله... لكن في النقد الثقافي يعطي رؤية أخرى غير الجماليات. الكتاب الجاي عن المتنبي اللابس المتلبس... لابس للحكمة، لكن متلبس بالنسق، حكيم لكنه نسقي. النسق جاهلية فيه وعنصرية، وفيه انحيازات، وفيه طغيان الذات، وفيه أنه لا يرى الآخرين. | إبراز نسبية الفكرة لمنع المخاطب من الفهم الخاطئ. |
| التمثيل | ● وجود الفلسفة أصلًا مثل وجود الشعر، مثل وجود النقد، مثل وجود النقد الثقافي، مثل وجود النقد الأنثروبولوجي، لازم تكون موجودة.<br>● أنا اقترحت على بعض الباحثات أنهم يعملون رسالة عن الخطاب الساخر عند القصيبي وعلوان؛ لأن المبطن العميق عندهم ساخر خاصة في العصفورية عند القصيبي، ونتلمسه في عدد من كتابات محمد حسن علوان؛ لأن هذا من النوع الذي يجعل الكتابة تصل إلى أعلى مستوياتها، الجاحظ بلغ أعلى مستواه؛ لأنه ساخر.. وصل للدرجة العالية من السخرية. برناردشو ميزته هي السخرية الذكية المذهلة المخيفة.... الرواية الساخرة وجهها جاد وتفاعلي والشخوص تشتغل لكن مضمرها من جوفها... بالنبش بالبحث... ساخر. | التوضيح والإقناع |
| التفسير والشرح | ● كل حالة ابتعاث تعني حالة انتماء؛ الانتماء للمعرفة، الانتماء للعلم، الانتماء للوطن، الانتماء للمعنى القيمي، أن هذا البلد أرسلك وصرف عليك قيميًّا بمثل ما صرف عليَّ، أعود كامتنانٍ لما صرفته بلدي عليّ.<br>● هذه الأمور تتكرَّر بكل مكان، فلا تعني أن المجتمع السعودي هكذا، ولا تعني أننا نغضب؛ لأن حادثة ما وقعت في مجتمعنا. الحوادث تقع في كل بيئة. | توضيح الفكرة وشرحها. |
| الاستنتاج | ● أعظم وأكبر شاعر عربي... المتنبي؛ لأنه يمثل نسقيتنا، يمثل حكمتنا والتي نحفظها ونستقبلها منه، ويمثل عيوبنا، يمثل أحسن ما فينا، ويمثل أسوأ ما فينا الاثنتين معًا.. هذه عظمة المتنبي؛ لأنه يتكلم نيابة عنا.. إن أردنا خيرًا لقينا أنه يتحدَّث عنا باسمنا، هو المتحدث الرسمي لثقافتنا إذا أردنا الحديث الطيب الجميل الراقي. | استخلاص الفكرة واستنباطها. |

| الأساليب التداولية والوسائل اللغوية | أدواتها وصيغها في نص المقابلة | وظيفتها التداولية |
|---|---|---|
| **الاستشهاد** | ● الشاعر يقول:<br>أتاني هواها قبلَ أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلبًا فارغًا فتمكَّنا..<br>القلب الخالي والعقل الخالي يتمكَّن منه أي شيء.<br>● إنه كلام أفلاطون قبل ٢٥ قرنًا ٢٥٠٠ عام قال: إن العدالة والحرية والمساواة شرٌّ مؤكدٌ؛ لأنها تساوي بين العبد والسيد ...أثينا كان سكانها ٥٠٠٠٠٠، منهم ١٠٠ ألف سادة و٤٠٠ ألف عبيد... فمعادلة العبد والسيد تعود لأمريكا.. وتعود في بريطانيا الآن. | الدفاع عن الفكرة وإكسابها الشرعية المقبولة. |
| **التعليل** | ● مسرحيات شكسبير كلها أحداث ضخمة جدًّا وقوية؛ لكي تحدث التأثير، فصناعة التأثير في الدراما أساسية في العمل الدرامي.<br>● لا لا لا؛ لأنها خصومة شريفة ما فيها شيء، أنا ندمت على الخصومة مع الفوزان؛ لأنها ما كانت تليق لا بي ولا بالدكتور. | توضيح السبب والعلة. |
| **المقارنة** | ● هذا غير واقعي، هذا لا يُمثِّلنا.. إلى آخره. هو ينتقي وقائع، حتى لو الوقائع غير الطبيعية، الوقائع غير الواقعية، الوقائع الشاذة، ويُركِّز عليها. ولما تكون دراما، ما يكون فن، ما يكون... أنا أذكر في مصر، لما "عمارة يعقوبيان" تحوَّلت من رواية إلى فيلم أيضًا حصل توتُّر، إن هذا لا يُمثِّل المصريين؛ المصريون ليسوا هكذا.... الفن هذا أمره. | الربط بين فكرتين أو أكثر عبر التماثل أو التعارض. |
| **التكرار** | ● الأصل الأصل الأصل اللبة الأصل هي القراءة لو ألغينا عنصر القراءة عن كل هذا اللي تفضلتِ فيه. الباقي كله يسقط.<br>● تبيَّن أن النخبة ليست نخبة... تدعي أنها نخبة... ليست نخبة... ليست أميز من غيرها، وليست أذكى من غيرها، وليست أصح بالمطلق من غيرها، وليست أقوى إرادة أو معنى أو قرارًا من غيرها. | التوكيد من أجل الإقناع وإقرار الفكرة. |

-

## الخاتمة:

استنادًا إلى ما سبق يتضح أن اللقاء تضمَّن العديد من القضايا التي كشفت اللثام عن أفكار ومعتقدات خاطئة مترسِّبة في ذهن المخاطب ووجدانه، عالجها الغذامي خلال هذا اللقاء بأسلوب بليغ وحُجج وأدلة مقنعة، أسفرت عن عدة نتائج، هي:

- اعتمد الغذامي لغة واضحة جمعت بين الإيجاز والدقة في اختيار الألفاظ التي تقوم بالحجة دون إسهاب ممل، ولا إيجاز مخل، كما جمع بين الفصحى والدارجة؛ مراعاة لمقتضى حال المخاطب الذي جمع بين المثقف والعامي، فبدا خطابه الإقناعي واضحًا سهل التلقي، قريبًا من ذهن المخاطب ووجدانه.
- استطاع الغذامي أن يملك عقل مخاطبه ووجدانه عبر تحقيق شروط الإقناع والإمتاع في خطابه من تأثير فعَّال مُؤسَّس على الثقة والصدق والتدليل؛ فحين لجأ إلى مرتكزات الحجاج من وقائع وحقائق وقيم، منطلقاتٍ لحججه يبني عليها خطابه الإقناعي، اعتمد على حجة "الإيتوس" في استمالة المخاطب وجدانيًّا قبل تملك ذهنه وعقله، مستثمرًا الثقة التي حظى بها

لدى المخاطب في إرساء مبدأ الصدق والقبول، كما عوَّل على حجة "اللوغوس" في مناقشة معتقدات المخاطب وأفكاره عبر الحقائق والاستدلالات المنطقية، بيد أن اعتماده على حجة السلطة مثّل الظاهرة الأكثر حضورًا في خطابه؛ نظرًا لاعتمادها على المثال والشاهد، الأمر الذي يجعلها أجدى نفعًا في إقناع الجمهور بمستوياته الثقافية المختلفة.

- أسس الغذامي خطابه الإقناعي على الاستدلال الحجاجي، فساق أساليبه الحجاجية مؤسسة للواقع، معتمدًا على الاستعارة والتمثيل، مستخدمًا استعارات حية، وأمثلة من الواقع لها تأثيرها الفعلي في عقل المخاطب وسلوكه.
- دعم الغذامي حججه بأساليب لغوية تعمل كسدة ولحمة بين ملفوظات الخطاب وحججه، تمنع تشوُّه المعنى، وتفكُّك الحجة، كالتوكيد والإثبات لتقوية المعنى وتمكينه، والنفي لدحض الرأي المعارض وتكذيبه، والاستدراك لإبراز نسبية الفكرة، والتمثيل للتوضيح والإقناع... وغيرها من أساليب تداولية، ووسائل لغوية شكَّلت بنية الخطاب وأداته اللفظية؛ لنقل المعنى والفكرة في كل قياس منطقي.
- كان الغذامي واعيًا بمنطلقات الخطاب الإقناعي، مراعيًا بلاغته وفق مقام المخاطب ومقتضى حاله، فاستطاع إشباع حاجته وملء فراغ عقله ووجدانه بالحجج العقلية، والبراهين المنطقية التي صحَّحت خطأ أفكاره عن النقد الثقافي، ووسائل التواصل الاجتماعي، ومعتقداته المكتسبة عن الابتعاث، والفلسفة، والموسيقى، ومن ثمَّ وضعه في مساره الصحيح نحو ما يصلحه وينفعه.

**- أهم التوصيات:**

١- تأكيد أهمية تناول الخطاب الإقناعي لدى عبدالله الغذامي وغيره في موضوعات ولقاءات متنوعة لأهمية هذا الموضوع.

٢- إعداد دراسات أو رسائل علمية تتناول الإقناع الخطابي في تراثنا العربي العريق، ولأدباء معاصرين.

٣- ضرورة الرد على الذين يكفرون الفلسفة، ويرفضون دخولها للمناهج التعليمية بحجة كفرها، وتأكيد معالجة هذا النوع من القضايا.

٤- ينبغي العودة إلى التراث البلاغي، ومعالجته في ضوء النظريات الحديثة، واستخراج عناصره حتى نربط بين ماضينا وحاضرنا؛ انطلاقًا إلى مستقبلنا البسام.

**المصادر والمراجع:**

**المصادر:**

ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.

ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

أبو هلال العسكري: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.

الجاحظ: البيان والتبين، شرح وتعليق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.

حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣، ٢٠٠٨م.

الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط وشرح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

لقاء الغذامي مع قناة العربية إف إم (Alarabiya FM)، بتاريخ ٢٠٢٤/٨/٣١م.

**المراجع:**

إبراهيم أبو عرقوب: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م.

حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج ٣٠، ع١، يوليو ٢٠٠١م.

حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن – عمان، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، مقال ضمن مُؤلَّف: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب، إربد، ط١، ٢٠١٠م.

شاييم بيرلمان، ولوسي أولبرخت تيتكا: المصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، ترجمة: محمد الولي، دار الكتاب الجديد، الولايات المتحدة، ط١، ٢٠٢٣م.

طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العرب، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م.

عامر مصباح: الإقناع الاجتماعي (خلفيته النظرية وآلياته العملية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٥م.

عبد السلام عشير: إشكالات التواصل والحجاج، (مقاربة تداولية معرفية) رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، المغرب، ٢٠٠٠م.

عبدالله صولة: الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ت.

عبدالله محمد العوشن: كيف تقنع الآخرين، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

علي عجوة: دراسات في العلاقات العامة والإعلام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٥م.

محمد العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،ع٦٠، خريف ٢٠٠٢م.

محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، المغرب، طبعة عام ٢٠١٣م

محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول إفريقيا الشرق، المغرب، طبعة ٢٠١٢م.

محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول إفريقيا الشرق، المغرب، طبعة ٢٠١٢

محمد على القارصي: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٩٨م.

محمد مشبال: في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، عمان، ط٢، ٢٠١٦م.

نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م.

هواري غازي: مقولة التوازي وشعرية الإلقاء، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر، ٢٠٠٠م.